الأستاذ الجامعي
أمدرس هو .. أم باحث؟

الدكتور عبد علي الجسماني

- ١ -

سؤال كثيرا ما يطرح ، ومسألة كثيرا ما تتناولها المناقشات وتتلقفها المناقلات • ولعلها بلغت أطوارا مبلغ المماحكات • وكل فريق يورد من الحجج ما يدعم بها دعواه ، وكل مناقش يدلي ببراهين يدلل بها على قيمة رأيه وجدواه • والموضوع ، على اية حال ،، ،،لا يخلو من الاهمية والطرافة ، وهو بالتأمل خليق وبالبحث قمين •

لا ندحة للاستاذ الجامعي من أن يتذرى مكانا عليا من مراقي البحث ومراتب المعرفة • وهي مراتب لا تضفى عليه اضفاء ، ولا تأتيه طائعة ، وانما تسلم له قيادها متى اتخذ شعارا له : سمة البطولة المثابرة، وهل من مثابرة أسمى من الدأب على العلم وانتهال المعرفة ؟

فالاستاذ الجامعي ، وهو يبحث ويحاضر طلابه ، انما يرمي الى غرض اجتماعي • واذ هو يبحث ويحاضر فأنما يبني عقولا ويشيد شخصيات • ولعل اوضح معالم بنائه هو ما ينشىء من علاقات تشد اليه طلابه وتقربه من نفوسهم • مرددا مع ذاته : (انني انسان مرب ، واذن فلاقترب من كل انسان)[1] وطلابه بهذا الاقتراب والتقرب أجدر •

فالتربية ، ونحن نتحدث باسمها في كل مجال ، تلزمنا بأن نعي انه (... لا مناص ، ونحن نقترب من انتهاء اعظم عصر يشهده التاريخ من تدريب العقول على الوعي العلمي وعلى تذوقه وبناء العواطف حوله

لينطلق المتعلمون والباحثون تلقائيا أزاء مرام يدركونها بجدارة وينشطون في سبيلها بلهفة • فحرى بالتربية ، وهي من تفكير المربي ، بأن تضمن الرغبة الملحة للتعليم وللحصول على المعرفة ، والا تخيب آمال المتعلم بمناهج قاسيه جافه تمزق اتزانه ولا تضيف شيئا الى درجة التقدم في التعليم)[٣] •

الاستاذ الجامعي معلم ، ومن خصائص المعلم الفذ الاستمرار على تقصي الحقائق والتطلع الى الاستزاده من اقباسها ، وجاهد الاخلاد الى الدعة والراحة (اذ يهب الله لكل عقل الخيار بين الحقيقة والراحة ••• اختر منهما ما شئت •• ولكن لن تظفر بكلتيهما • ان من يختار الراحه لا يشاهد الحقيقة ، ومن يختار الحقيقة يظل جوابا ••••) وهل بمقدور الاستاذ الجامعي ، ان أراد ان يخلد في الاذهان ، ان يزهد في طلب الحقيقة التي تمده والانسانية معه بأقباس مضيئه وبرؤى نيرة •

ما من احد يمارى في ان سنة الحياة التناغم ، وغاية الطبيعة التكامل وهذا التفات حديث من الانسانية في معرفتها الى متممات حياتهما • فالتجزئة تنطوى على التجني على وحدة الاشياء ، وتنم عن تطاول على ناموس المخلوقات وما فطرت عليه • وما جهد الاستاذ الجامعي ان شاء ان يكون معلما رائدا ، عن تلك السنة بموروب • الا يروق الاستاذ الجامعي ان يتخذ مثالا يحتذى ونموذجا به يقتدى ، وقدوة من جانب اشخاص نسي وجودهم وهم كانوا قد مروا به اعواما خلت يتتلمذون عليه و (أن القدوة لابلغ الواعظين)[٤] •

فأحر بالاستاذ الجامعي ان يكون مدرسا وان يكون باحثا ، ليأخذ بنواصي المجد من اطرافه ، وهو بهذا يستكمل عنوان التكامل ، وصوب هذا الاتجاه قد ألف البحوث والدراسات • (اما الاستاذ في الجامعة المتكاملة فيجب ان لا يكون معلما فحسب او باحثا لا يجيد التعليم اولا يرغب فيه • ان الاستاذ المطلوب يجب ان يكون باحثا يجيد نقل الخطوات والاساليب في بحثه لطلابه ليفهمهم الحقيقة وطريقة الحصول

عليها) [٥] . وتكامل الجامعة بعد انما يستقى من تكامل مجهودات اساتذتها .

فبالتدريس والبحث يحقق الاستاذ الجامعي أملا يصبو اليه هو ويتشوق اليه سواه ، وبخاصة طلابه ، فيكون قد غذى عقول طلابه بمحاضراته ودرب الباحثين منهم على اساسيات البحث العلمي واتانين اساليبه ، فيكون قد « نفض مزادة نفسه فيشبع»[٦] المئات « من جياع الروح » من بين طلابه . فالدعوة الى وجوب تكريس جهد الاستاذ الجامعي للتدريس وحده او للبحث منفردا ، انما هي دعوة لا تخلو من فآله ولا تخلص من تجميد فكره . فكيف يمكن التفكير في الفصل بين التدريس والبحث ؟ وهل يستطيع الاستاذ الجامعي متابعة القاءالمحاضرات بنجاح دونما متابعة في البحث والاستقصاء ؟ وهل يحسن الباحث المنزوي انتهاج سبل التعامل مع طلاب ينتظرون منه تفهمهم عن كثب ؟ فمن جانف التنقيب في بطون الاسفار جانبته الحقائق ، وقد احسن احد الفلاسفة حين قال : « انني اذا امتنعت عن القراءة ثلاثة ايام ، لا احسن محادثة الناس . » ، ومن اقتصر في مجهوداته على البحث قصرت به عن مواجهة طبيعة العلاقات الانسانية وهي في المقام الاول للاستاذ الجامعي .

والاستاذ الجامعي يسدى من خلال تدريسه لطلابه خدمة لا ترقى اليها خدمة اخرى ولا تدانيها ، فهو رائد لهم بصدق العزيمة المؤمن بقيم الانسانية فيخرجهم من الخيال الى الحقيقة ، وينأى بهم عن الجهل فيسيح بهم في مواطن المعرفة الداعية الى التسامح المتسمة بالنزعة الانسانية الحقة المفضية الى السعادة النفسية ، الداعية الى اطمئنان الضمير ، وهل هناك ما يعدل هذه الاركان الحميدة ؟

— ٢ —

والى جانب التدريس ، فالاستاذ الجامعي الباحث يتصدى لتدريب

طلابه على اصول البحث العلمي سواء أكان البحث خالصا محددا صوب نقطة يرتادها منذ البداءة ، أم كان توجيها ازاء حقائق تستتلي جمع بينات موصولة بتلك الحقائق ، مما يثير الاهتمام ويسلم الى تكوين عادات التفكير السليم ، وايقاظ نشاط التفكير المنطقي الذي يتيح لهم المايزة بين ما يعد شاهدا دليلا وبين ما يعتبر من قبيل الثانويات العارضة .

فالاستاذ الجامعي الحصيف من تمثل في نشاطه الاكاديمي فضيلة التدريس وحكمة البحث . وكلاهما جانبان متكاملان . فاصبح الحديث عن مراتب الجامعات والمفاضلة بينها اليوم لا ينسب الى جدرانها ومناهجها ، بقدر ما يقرن الكلام عنها بشخصيات من فيها من اساتذة يلتزمون بالتقاليد الجامعية وبحصائل العلم الموزون بموازين التدريس المتميز بالكفاية وبالبحث المطبوع بالمثابرة ، وتعلو هذا وذاك فضيلة التواضع وحسن الاستقامة في السر والعلن . فيؤمل في الاستاذ الجامعي ان يجلو كثيرا من الحقائق ، وان يسهم في المساعدة على الدنو منها ومقاربتها ، ويتاتى له هذا بفضل ما اتيح له من تأهيل حباه به المجتمع ، فينبغي رد العرفان بالجميل ، وكيف يتسنى هذا بغير البحث والتدريس معا ؟

فعن طريق التدريس يتيسر للاستاذ الجامعي ان يقدم لطلابه فكرا سوية مقسطة مصاغة بمسابك الوجدان ، فيتحفهم بالتجارب الانسانية موشاة بأطرها السامية . وهو بالبحث يقدم الباحثين من طلابه خلال مسالك لم تطرق ، حاملا لواء الرواد ، متحليا بكران الذات ، والاستاذ الجامعي حين يكتب وحين يحاضر وحين يبحث ، لا يعد « مجهوده بمقدار ما سود » من طروس ، ولا بمقدار ما استنفد من مداد ، وانما يقاس جهده بحصيلة ما وطد من علاقات انسانية مع طلابه ، وبمقدار ما حدته من نيات خالصة نحو المجتمع فحسب لها الحساب وعلى هديها خطط لبحثه .

لدى البحث عن الجامعات وخصائصها انما تتناول الاشارة ضمنا ما يتحلى بـه اساتذتها من مميزات تتمثل في جدارة التدريس وجزالة البحث . اذ « يجب ان يكون للجامعة الجيدة هيئة تدريسية جيـدة ايضا ، يقدم اعضاؤها مثالا طيبا للحياة التعليمية وهم انفسهم يجب ان يكرسوا انفسهم لاستكشاف عالم المعرفة ويجب ان تكون حياتهـم مميزة بأسهامهم المستمر الخالص للمعرفة والتفاهم الانسـاني . وليس من الضروري ان يكون كل فرد من افراد الهيئة التعليمية واحدا مـن علماء العالم العظام ، وفردا ذا مكانة بارزة بين زملائـه الاخصائيين ، ولكن يجب ان يكون عالما وان علمه هذا قد اكسبه معرفة متينـة بموضوعه ، ان تكون معرفته خاصة به ، حية وقابلة للنمو وليست مجرد معلومات من كتاب مقرر . كما ان من الضروري ان تكـون له قدرة واسلوبا وطريقة فنية لنقل علمه وحماسه من حقل اختصاصه وشعوره بأهميته الى الاخرين وبالاخص الشباب منهم . »[٧]

تم استقاء الحديث الآنف باسهاب لما ينطوى عليه من مدلـولات يجدر توفرها في الاستاذ الجامعي المنتظر منه استكمال ركني التدريس والبحث[٨] ، على ان يكون مدرسا باحثا وناقدا ليكون علمه ممثـلا لشخصيته ، وان يكون في ذات الوقت باحثا بارعا يجيد التدريس وبه جامعته يحق لها ان تزدهي على نحو يصدق عليه قول شيخ معـرة النعمـان :

« يؤمل لهلاله ان يبدر ولثغبـه ان يستبحر .
ولمحار زمنـه ان يفض عن انفس جوهـر
ولاكمة وقته ان تتبوج عن أطيب زهـر . »[٩]

يعمق الاستاذ الجامي بجهديه في البحث وفي التدريس معاني التجربة الانسانية بأسنى خصائصها . وبهذا يكون خليقا بنعت رائد في الحياة ورائد في المجتمع من خلال ثقافته الفضفاضة وتجربته المحيطة المفضيـة الى الخير والحق . والا ينسى مهما تسامق شأنه وعلا كعبه بأنه يواجه

دواما وبأستمرار تحديا لفكره ونقدا لجهده ، فليكن صابرا مثابرا وهذا سبيل الصالحين المجاهدين، وان ما يستنفد من مداد في مجالات تدريسه وفي ميادين بحثه انما (يوزن بدم الشهداء فيعدله) ، وهل من مثوبة أجزل من هذه ؟

- ٣ -

استنجازا لجهود الاستاذ الجامعي في شطري التدريس والبحث يدعوه واجبه الى ضمان التكامل بين الحقائق قديمها وجديدها ، وكفايته لا تقاس بمحرار تخصصه فحسب ، بل بما يحرز من توفيق بين مختلف ظواهر الحياة التي تبده طلابه : باحثين كانوا أم دارسين • ولعل تجربته في الحياة لا تكون مدعاة اهتمام ألا حين يلج مضامير الحياة الاجتماعية بعد ان يتحسسها وهو على هذا أقدر وبه أبصر ، ومن هنا يتكامل بالمعرفة واقع الانسان ، وبذا يكون قد طوع التجربة الانسانية من خلال وعيه بها وتفاعله معها فأحالها خبرة عملية ملموسة بعد ان كانت فكرة في اطار المعنويات •

فكل من التدريس والبحث يحفظ للاستاذ الجامعي ثبات شخصيته ونموه الفكري وتطوره وذلك بأسهامه في نقل الحياة خطوات الى الامام • اذ ان الحياة البشرية في مختلف نقلها وارتقاءاتها انما اسهم فيها اولئك الذين يفكرون ومن عدادهم الاستاذ الجامعي من خلال بحثه وتدريسه • ففي العلوم اليوم وفي الادب وفي الدراسات الاجتماعية كافة ، نجد المفكرين دوما يقصدون الدالفين صوب المعرفة ، يعملون عقولهم المشعة ، محاولين كشف المجهول ، حاشدين طاقة العقل لاجتلاء الحق •

ومن الامور المسلم بها في الوقت الحاضر ان يكون الاستاذ الجامعي مهتما في بحثه بما يدرس ، ومعتقدا بأهمية ما يبحث • ويقاس مدى نجاح الاستاذ اليوم بمقدار قدرته على درء ما قد يجد من تعارض

بين مسؤوليته استاذا ومهمته باحثا : منحيان اجتمعا في فكر واحد • ولقد اضحى اليوم واضحا اليوم ان الحواجز بين الجوانب العلمية راحت تتوارى[١٠] ، او كادت ، أمر اتضحت حقيقته بعدما تجلى للانسانية ان الفصل بين مبدأي المعرفة المشتركة لا يسيغه العقل ولا يجيزه المنطق • فبالبحث يسهم الاستاذ في اشعاع المعرفة ويشبع فضول نفسه ، وبالتدريس يهتم بطلابه اهتماما مخلصا فينير نفوسهم من قبس نفسه ويشاركهم مشاعرهم بوصفه الاب الروحي لهم ، وبهذا يستحوذ على اعجابهم وهذا بحد ذاته عمل يكون له مغزاه ، ولعله يكون مدعاة لان يتقمصوا شخصيته الفريدة ، فيحتذونه مثالا ، يتوكفون اخباره ، ويقتفون آثاره ، بل يحفزهم بأخلاصه ، يوجههم بحصافته في سبيل استخدام قدراتهم الى اقصى الغايات ، فيكون قد وفى واجبه في الحالين •

— ٤ —

يدعو الاتجاه في الحياة الاكاديمية اليوم الى توطيد ما بين اركان المعرفة من متات ، وعليه فأن التفكير في وجوب التخصص في البحث وحده او الانقطاع الى التدريس فقط ، تفكير لا يختلف عمن يحاول العوم ضد التيار العارم الجارف • فالدعوة الى الانقطاع الى البحث دون التدريس دعوة قد تفضي بالباحث الى عدم التعرف على طبيعة الامور الانسانية التي تجدر مراقبتها عن كثب ، ولعل التقيد بالتدريس دون البحث يسلم الى التكرار الممل • ورب قائل يقول : بأستطاعة المدرس او الباحث ان يتخذ له هواية يدرأ بها شبح الضجر ويبدد ظلال السآمة ، انه لقول مقبول ، ولكن الا يمكن ان تستأثر الهواية بجل نشاطه فتكون له صارفة عما ينبغي ان يؤديه ، لكن هذا الخطر لا يمكن ان يكون دوما بالمرصاد ، ويجبذ أن تكون لكل فرد ، أين كان سبيله في الحياة ، هواية يجدد بها خلايا نشاطه • ولكن ينبغي التساؤل الآن :

ما الحائل دون اصطناع الهواية هذه مع الجمع بين فضيلة التدريس وفضول البحث ؟

اذا ما تأتى للاستاذ الجامعي الاخذ بناصيتي التدريس والبحث فيكون قد لبى حاجة الانسانية التي هي « في عوز دائم الى اصحاب الارواح الكبيرة والرؤى المحلقة ، سيما منهم المفكر الذي تعود الاصغاء لصوت الحقيقة ، والذي يحمل حاسة اتجاه يقظى تسير في سرعة الضوء الى اللباب المستسر » (١١) . فمن البدائه التي لم تعد اساسا لنقاش او جدل هي ان الحياة البشرية متجددة متطورة ، وان وراء هذا التجدد والتطور فكرا يزجيها ، وان الفكر هذا تتجدد اساليبه وتتشكل دوما رواءه ، والاساليب هذه تستلزم وحدة الفكر وصونه من التشطير ، والمعرفة التي هي تاج الفكر ووليدة العقل تستتلي تكامل العقل عملا بمبدأ وحدة الطبيعة وانسجامها ، فكيف يكون بمقدور قائل بعد بفصل التدريس عن البحث ؟

ذكر أحد الفلاسفة ما معناه ان الفكر يتعرض دوما لخطر افتراض وجود أمور ثابتة واحكام نهائية غير داحضة . وهو رأي يحمل في تضاعيفه معنى له مغزاه . فمن يظن ان المعرفة تستوجب الفصل بين التدريس والبحث مثلا ، انما يدعو الى انحسار نشاط العقل وفل غربه . ولقد قال احد المفكرين المحدثين ان :

« افضل جدل يمكن ان نسوقه لتفسير اهتمام الاستاذ بالبحث العلمي هو انه يساعد على تنشيط عقله ونموه . اما اذا انصرف اهتمامه الى التدريس وحده ، فقد يتعرض لخطر هو ان يصبح التدريس عملا روتينيا ، ويصبح تكراره الحتمي شاقا واستجابته له هزيلة متراخية . واذا كان ميدان بحثه متعلقا حقيقة بما يقوم بتدريسه ، فينبغي أن يعمق هذا البحث فهمه لموضوعه ويزوده ببصيرة نفاذة تجعل استجابته مشغوفة نشطة . » (١٢)

سيقت العبارات الانفة بأسهاب للتمثل على ان مسؤولية الاستاذ واحدة مهما تباينت جوانب النظرة اليها ، وبمقدار ما يلتزم به هو من فلسفة خاصة به في الحياة . اذ قد يرى استاذ ان التدريس من مهامه الاولى والبحث يأتي تاليا ، وربما يذهب آخر الى ان البحث في ذهنه مجلياً وان للتدريس مرتبته الثانية ، ولكنه لم يتخل عن مزاوجة النشاطين معا توفية للفائدة وتتميما للعائدة . ولكن كيف يمكن حسم مسألة الاهمية النسبية لكل من موضوعي البحث والتدريس ؟ ان الحل يكمن دون شك في طبيعة مزاج الاستاذ ذاته ، فأما الترجيح مع الحفاظ على الكفة الثانية ، وأما الموازنة بين الكفتين . وان الاتجاه الحديث ومنطق التكامل سائران صوب الحفاظ على التوازن .

ومن الاتجاهات الحديثة في علم النفس اليوم ما يؤكد على المنحى التكاملي في الحياة . ولقد افادت التربية من ابتكارات علم النفس هذه ، فراحت تطبق هذا الرأي عملا بمبدأ التربية هي الحياة . وما الجامعة الا منار الاشعاع التربوي في المجتمع . وهي محسوبة اصالتها بتبني اساتذتها كمنقبين في البحث والتعليم معا ، وتثبت ديمومتها بمقدار تقاليدها الرضية المتجددة . اذ :ـ

« من الجهة التربوية يمكن للجامعة المتكاملة ان تقدم وبمختلف الاساليب دراسات متعددة ، مختلفة المحتوى والمدى ، مترابطة يمكن الانتقال فيما بينها بسهولة اضافة لما يوجد بينها من علاقة جديدة بين الدراسات النظرية والعلمية . ان الغاية من هذه الحركة ليست التعليم النظري الصرف ولا العملي البحت ، بل التزاوج بينهما ، حيث يتحقق نوع من التعلم يمكن ان يدوم مدى الحياة . »(١٣)

ـ ٥ ـ

ذكر ارسطور أن : « ليس ثمة درس يتعلمه الانسان ولا عادة

يكتسبها أهم من الحكم الصائب على الامور . »[١٤] وبجمع الاستاذ الجامعي فضيلتي البحث والتدريس تتمثل فيه الريادة لطلابه فيسدد خطاهم في سبل الاحكام الصائبة ولا شك . ولعل الريادة المع ضروب التدريس ايثارا من جانب الطلاب في الجامعة ، بل وفي مختلف المستويات التربوية . فبفضل حكمته وبواسع خبرته يتسنى للاستاذ ان ينتفع على افضل وجه مما لديه من معرفة ومهارة لتشجيع طلابه على التعبير عن مكنونات انفسهم وعلى ابداء قابلياتهم على نحو سليم يتسم بالذكاء . فالاستاذ المعلم هو في الوقت ذاته باحث منقب . فبألقائه المحاضرات ، وبأدارته للمناقشات وبقيادته لطلابه الى معين المراجع وأساسيات المصادر ، فهو في هذا كله معلم ناجح وباحث شغوف بالمعرفة . وبتأكيده على تدعيم أراء طلابه بالشواهد المؤكدة ، واسترعاء اهتماماتهم ازاء الحجج المنطقية المؤيدة ، يكون قد حقق اصالة الرأي وعزز ما ذهب اليه أرسطو من قول .

فالاستاذ في تدريسه لا معدى له عن اتباع اسلوب المحاضرة التي قدم فيها للطلاب مجموعة من الحقائق ، قد يتعثرون في الحصول عليها في بواكير عهدهم بالحياة الجامعية ، وبخاصة عندما تنقصهم الخبرة وتعوزهم القدرة على التمييز بين الحقائق ذات الوشيجة الواحدة المتصلة بالموضوع الواحد او النافرة عنه . ففي المحاضرة يكمن اسلوب تلوين الجو على الاستاذ والطالب ، اذ ان مجرد اللقاء في صعيد واحد يعد وسيلة تربوية وعملية اجتماعية ، وتعتبر المحاضرة اسلوبا لتركيب مجموعة كبيرة من الافكار والحقائق وربطها بموضوع متوحد معين . وفي المراحل المتأخرة من الحياة الجامعية يمكن للاستاذ المزاوجة بين المحاضرة والقيادة الى مظان المصادر الاساسية وتعويد طلابه على طرائق استقاء المعرفة وفقا لاساليب الدراسة المثمرة التي اصبحت اليوم فنا ينتهج واسلوبا يتبع .

ولعل اهم الاعتبارات الآن ايجاد اساليب ناجحة تنتظم علاقة

الاستاذ بطلابه الدارسين الباحثين • اذ قد يستأثر باحترام طلابه من خلال تعامله[١٥] معهم ، فيستثير فيهم ضروبا من السلوك المهذب ، وهو يحوز في الوقت ذاته تقديرهم بتفانيه وبجده وبأخلاصه في العمل • وفي مثل هذا التفاعل تتاح جوانب تربوية مثلى ، اذ ان التربية في ذاتها انما تنبع في الغالب من القدرة ومن الاحتكاك ، ومن التأثر بشخصية المعلم • واننا لنصبو الى تنمية قدرات المتعلم الكامنة وتوجيهها من أجل تأثيرها في تراثنا الثقافي • وبهذا يكون الاستاذ قد نمى في طلابه حب المعرفة وعادة تقصي الحقيقة ، ويسر لهم فهم الحضارة الانسانية المتدفقة •

يقول أحمد أمين : « التعليم العالي كله خير وبركة مهما كانت النتائج »[١٦] واذا كنا لا نقبل الشق الاخير من هذا الكلام فلشطره الاول دلالته الكبرى • اذ ان التعليم انما يسبغ بركاته على المجتمع لمواجهة مطالب الحاجات الاجتماعية • فمن وظائف التعليم العالي حل مستلزمات المجتمع وترقية مكانة العلم :

« وتقوم هذه الترقية على الابحاث والدراسات التي يجريها الاساتذة وطلاب الصفوف العليا في مختلف الحقول بغية المساهمة في تعزيز التراث الثقافي والحضارة العالمية • »[١٧]

والعلم سداه الانهج ولحمته ما يوشيه من فكر ، وهذه وتلك تتطلب وزن الادلة التي تدعم صدق الحقائق ونقاوة الآراء • واساتذة مؤهلون على نقل هذه المعارف الى الامام وتطويرها • « واساتذة الجامعات لا بد لهم من العمل على ترقية العلم الذي يتخصصون به ، والاستاذ الذي لا يفسح في متابعة ابحاثه ودراساته وتأليفه ، او يهمل أمرها بحجة أنه مشغول عنها بشئون التعليم هو استاذ فاشل لا يلبث ان يتحجر ويصبح عاجزا عن اعداد قادة للامة • »[١٨]

و «الاستاذ الكامل هو الذي يجمع بين وظيفتي البحث والتعليم»[١٩]، وذلك لكي يكون في موقف ممتاز يؤهله لاعداد قادة الامة • ولذا

فينبغي « ان لا ينشغل بشئون البحث والتأليف عن شئون التعليم . فالذي يتهاون بوظيفته التعليمية يقصر في اداء واجب من اقدس واجباته . »[٢٠]

ما أحوجنا اليوم ، وفي أي وقت ، الى المواهب النادرة ، والعقول النيرة ، والافكار المدبرة ، ولعل المجتمع يرنو بعين الامل الى الجامعة ، مؤملا في اساتذتها كل خير ، عارفا بأنهم مستودع الثقة ، ومستقى الهداية فهم يعدون للامة قادة ، وهم بما اتيح لهم من ثقافة فكرية وثروة علمية ، في الامة قادة يخدمون المجتمع وينطبق عليهم بحق الوصف بأنهم :ـ

« قادة يحددون له الغايات ويخططون له السبل ويوجهونه اليها . قادة فكر يوضحون ويرسمون ، وقادة عمل ينظمون ويدفعون . فكل ناحية من نواحي حياته تفتقر الى هذا النوع من القيادة ، وجهاده القومي العام بحاجة الى القيادة المختارة التي هي الشرط الاول لبناء الامم وانشاء الحضارة . »[٢١]

ان مهمة الاستاذ الجامعي لا تنحصر داخل جدران كليته فحسب ، وانما هي كذلك مهمة اجتماعية شاملة ، اذ أن مسؤوليته ملازمة لمهمة الجامعة التي انشئت خدمة للمجتمع على ما أولاها من ثقة وتأييد واحترام . والاستاذ هو الموجه والمخطط في ميدانه ، وهو المطور للتعليم العالي الرامي « الى نشر العلم الراقي بين نوابغ الامة وعباقرتها بقصد اعدادهم لخدمة الامة لا في حقل مهنة من المهن الحرة فحسب ، بل في ميدان الوظيفة بوجه عام . »[٢٢]

فلا ترجح في الحياة الجامعية اليوم احدى الكفتين على حساب الكفة الاخرى . اذ لا تعارض بينهما ، بل هما غاية في التكامل[٢٣] . والاتجاه الحديث يرمي الى تدريب الاساتذة للجامعات ليكونوا مدرسين

وباحثين معا ، فشرعت بعض الجامعات الحديثة تجعل من ضمن تقاليدها ، ومن بين اعرافها منح الرتب العلمية لاساتذتها على اساس من الجمع بين المهارتين النبيلتين المفضيتين الى توسيع آفاق المعرفة الانسانية ، انالتدريس والبحث يمثلان المسؤولية الكاملة للاستاذ الجامعي الحديث .

- ٦ -

ولا تعالج مهمات الاستاذ الجامعي بمعزل عن اغراض الجامعة واهدافها . فالنشاط في اروقة الجامعة حرى ان يكون منهجا للبحث واسلوبا للتعليم : لتعليم التفكير ، والمعرفة ، والقيم الخلقية ، والتدريب على احترام العمل وانماء الانتاج . ولنا ان ندرك ، قبل ، بأن لا الاجهزة وحدها ، ولا تكديس المعدات ، ولا الاكثار من المخابر ـ هذه كلها ليست بموصلة الى الحقيقة ، وانما الكشف عنها رهن بأيمان الباحثين عنها وصبرهم على معاناة التوصل الى مظانها دونما توان او فتور .

واذا كانت الدراسات العليا في الجامعات ومنح الشهادات وفتح مراكز للبحوث فيها تمثل المظاهر الخارجية للنمو والازدهار ، فأن العقول الواعية المستنيرة تعكس ابعادها الجوهرية[٢٤] . فالدراسات العليا ينبغي ان تراعى فيها مصلحة الامة وان تستهدف رسائل الماجستير والدكتوراه معالجة مشكلات تتوخى لها حلا . والجامعات العربية ، بما أوتيت من كفاءات بشرية وما تيسر لها من موارد مادية لتستطيع التصدي الى مواجهة ما تبتغي له حلا من مسائل تجابهها .

ولا مشاحة في ان لمناهج التدريس وسبل البحث أثرا عميقا في تحبيب الميل الى البحث عند الباحث . ومن اولى علامات الصحة التي تبدو آثارها على المناهج تماسكها وصلتها ببعضها على نحو تتمثل فيها الموازنة بين مختلف جوانب المعرفة الانسانية المثلة لوحدة الشخصية الفردية من حيث الجوانب المعرفية والوجدانية والنزوعية . على ان تتصل وحدة مناهج الجامعة بوحدة المناهج الثانوية تفاديا للتعارض وتحاشيا

للتضارب بين مختلف المراحل الدراسية . اذ ان احياء الروح العلمية مرتهن بأصلاح مناهجنا التعليمية الجامعية منها وما قبلها . واذا ارادت الجامعة ، اية جامعة ، ان تكون جسما يزخر بالروح ويحفل بالنشاط والدأب ، فلا معدى لها من ان تكون محورا لارتياد المعقل البشري[٢٥] في انتقاله من مرحلة التعميم المبهم الى التحليل الجلي ومن مراحل التحليل الدقيق الى مشارف التركيب المتماسك[٣٦] . ولا يتسنى هذا ولا يتاح الا بتضافر جهود يشترك فيها كل من الاستاذ والطالب معا ، وكلاهما رائدان في ميدان العلم وباحثان عن الحقيقة . فللاستاذ من تخصصه الرصين ومن اطلاعه الواسع عدته وللطالب من تعطشه للحقيقة ومن استاذه في الريادة قدوته .

الهوامش

1 - King, Edinond J., World Perspective in Education, Methuen, London, 1965.

(٢) الجسماني ، عبد علي ، الاتجاهات الجديدة في التربية واثرها في التنمية ، بحث قدم الى المؤتمر الفكري الاول للتربويين العرب المنعقد ببغداد من ٧ ــ ١٥ حزيران ١٩٧٥ ، منشور في وقائع وبحوث المؤتمر المذكور جـ ٢ (ص ٥١٣) .

(٣) من كلام لامرسون في : افكار في القمة : خالد محمد خالد ، ص ١٣٥ .

(٤) من كلام لرشيد سليم الخوري الملقب بالشاعر القروي ، في مقدمته لديوانه المطبوع على نفقة وزاره الاعلام في الجمهورية العراقية ، ص ٤٣ .

(٥) الدكتور عبداللطيف البدري ، مجلة التعليم العالي والبحث العلمي (الجامعة المتكاملة) العدد الاول ، ١٩٧٤ ، ص ١٨ .

(٦) من كلام للشاعر القروي ، المصدر السابق ص ٢٩ .

(٧) « خصائص الجامعة الجيدة » للاستاذ فوريه ، ج . روسي ، ترجمة حميدة سميسم مجلة التعليم العالي والبحث العلمي ، العدد الاول ، ١٩٧٤ ، ص ٤٦ .

8 - The University in The Modern World , by Lord Robbins, Mcumillan, London, 1966.
Alternatives in Education, " The Defcinition of a University" ch. 4, by N, Fryr, (1971), University, by of London Press.

(٩) رسائل ابي العلاء المعري ، منشورات مؤسسة دار البيان ، بيروت ص ٢٢٧ .

(١٠) الجامعات في العالم المعاصر ، تاليف باسيل فلتشر ، ترجمة الدكتور موفق الحمداني دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٢ ، ص ١٤٦ ، ٦٢ .

(١١) في البدء كان الكلمة لخالد محمد خالد ، دار الكتاب العربي ، بيروت ١٩٧٣ ، ص ١٠٩ .

(١٢) استاذ الجامعة ، تاليف ف . ب . ميليت ، ترجمة الدكتور جابر عبدالحميد جابر ، دار الفكر العربي ، القاهرة ١٩٦٥ ص ١٧٦ ــ ١٧٧ وانظر كذلك :ــ

(١٣) « الجامعة المتكاملة » مجلة التعليم العالـي والبحث العلمي ، العدد الاول ١٩٧٤ ، ص ٢١ وانظر كذلك :

The open University opens, ed by J. Tunstall, Routledge and Kegan Pavl . London (1974).

14 - Socrates , Politics, Heron Books Com. (1969)

(١٥) انظر : استاذ الجامعة ، مرت الاشارة اليه ص ١٦٠ ـ ١٦٢ ، وانظر : « في فلسفة التعليم العالي وتنظيمه » للدكتور احمد حسن عبيد في مجلة الجامعة المستنصرية ، العدد الاول ، ١٩٧٠ ، ص ١٨٠ ـ ١٨٢ .

(١٦) حياتي ، دار الكتاب العربي ، بيروت (١٩٧١) ، ص ٢٢٨ .

(١٧) الوعي التربوي ومستقبل البلاد العربية ، تأليف جورج شـهلا وعبدالسميع حربلي ، طبعة بيروت ، ١٩٥٧ ، ص ٦٦ .

(١٨) الوعي التربوي : ص ٦٦ .

(١٩) الوعي التربوي : ص ٦٧ .

(٢٠) الوعي التربوي : ص ٦٧ .

(٢١) قسطنطين زريق « التربية العربية » مجلة الابحاث ، السـنة السادسة ، جـ ٢ (١٩٥٣) ص ١٩٨ .

22 - The Engineer in the University, by D. G. Chrito Pherson , London, The English Universities Press (1967), ch i 13.

(٢٣) الوعي التربوي : ص ٦٤ ، ٦٧ .

24 - The Universities and British In Dustry, by , M. Sanderson, Routhedge and Kegan Paul, Lodon. (1972)

(٢٥) راجع الدكتور جميل صليبا : مستقبل التربية في العالـم العربي : منشورات عويدات ، بيروت (١٩٦٧) ص ٣٤٦ ـ ٣٥٤ .

26 - Jaspers, K., The Idea of the Unicersity, London Peten Owen 1965 .